



ISSN 1989-9572

DOI: 10.47750/jett.2025.16.04.21

Unraveling History in the Contemporary Algerian Novel: "Forty Years in Waiting for Isabelle" by Saïd Khatibi as a Case Study

Dr. Bekkouche Aissa ¹, Dr. Nadji Rachida ²

Journal for Educators, Teachers and Trainers, Vol. 16 (4)

<https://jett.labosfor.com/>

Date Of Reception: 25 Dec 2024

Date Of Revision: 26 Feb 2025

Date Of Publication: 10 May 2025

Dr. Bekkouche Aissa 1, Dr.Nadji Rachida 2 (2025) Unraveling History in the Contemporary Algerian Novel: "Forty Years in Waiting for Isabelle" by Saïd Khatibi as a Case Study, *Journal for Educators, Teachers and Trainers*, Vol.16 (4) 331-343

1.



Unraveling History in the Contemporary Algerian Novel: "Forty Years in Waiting for Isabelle" by Saïd Khatibi as a Case Study

Dr. Bekkouche Aissa ¹, Dr.Nadji Rachida ²

¹: Hassiba Ben Bouali University of Chlef, Algeria, a.bekkouche@univ-chlef.dz

²: Blida -2- University, Algeria, r.nadji@univ-blida2.dz

Abstract:

This study aims to explore the intersection between history and fiction in the novel "Forty Years in Search of Isabel" by Algerian writer Saïd Khatibi. The research adopts a theoretical approach that presents the distinctions between history and the novel, and analyzes the experimental novel's techniques in dealing with historical material.

The study also seeks to clarify the representations of history within the text by examining the main narrative elements employed in the novel. We observed the significant role of history as narrator within these elements, which raised questions about how historical narrative is utilized in such an innovative novel.

Ultimately, the study reaches conclusions that summarize the critical discourse produced in this experimental novel, which opens itself to numerous problematic issues inherent to this genre.

Keywords: Forty Years Waiting for Isabel, History, Imagination, Novel.

تسريد التاريخ في الرواية الجزائرية المعاصرة « أربعون عاما في انتظار إيزابيل » لسعيد خطيبي نموذجا.

د. عيسى بكوش ¹، د. رشيدة ناجي ²

¹: جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف الجزائر، a.bekkouche@univ-chlef.dz

²: جامعة علي لونيبي البلدية -02-، الجزائر، r.nadji@univ-blida2.dz

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن التداخل بين التاريخ والخيال في رواية "أربعون عاما بحثا عن إيزابيل" للكاتب الجزائري سعيد خطيبي، والتي تتبنى منهجًا نظريًا يعرض الفروق بين التاريخ والرواية، وتحليل أساليب الرواية التجريبية في التعامل مع التاريخ، كما تتطلع الدراسة أيضًا إلى توضيح تمثيلات التاريخ في المتن من خلال عرض عناصر السرد الرئيسية المستخدمة في

الرواية، وقد لوحظ لنا دور التاريخ السارد في هذه العناصر، مما أثار تساؤلات حول كيفية استخدامه في رواية جديدة مثل هذه، وفي النهاية تتوصل الدراسة إلى نتائج تلخص ما تم إنتاجه من نقاش نقدي في هذه الرواية التجريبية المفتوحة على العديد من المشكلات القائمة في هذا النوع.

الكلمات المفتاحية: أربعون عاما في انتظار إيزابيل، التاريخ، المتخيل، الرواية.

1. مقدمة:

تُعتبر الرواية نوع أدبي حققت نجاحا بفضل مكوناتها الغنية وبنيتها الشكلية، في السيطرة على الأولوية في القراءة والنقد، وخاصة في هذا العصر الذي تخلى المتلقي عن سلطة الشعر وجعل الرواية هي مرتكز اهتمامه فهي تكشف عن أسرارهم وتناقضاتهم.

من المتعارف عليه أن الرواية الجزائرية، في سعيها الدؤوب للتطور والتألق في المشهد الأدبي العالمي والعربي، نجحت في فترة زمنية ليست بالطويلة في صياغة نص متميز، واعتمدت في ذلك على الرواية الغربية الجديدة التي منحها أدوات مغايرة أضفت عليها تميزا واصحا، حيث انتقلت من الخطاب التقليدي والسرد الكلاسيكي إلى خطاب يتمتع بخصائصه المميزة، فهي تتجاوز المؤلف بفضل استناد الروائي المعاصر إلى مراجع مثل الأساطير والتراث الشعبي والتاريخ، والتي لم يستخدمها بشكل سطحي وعابر كما كانت تستخدمها الرواية التقليدية، بل قدمها بوعي وأهداف محددة.

ولما كان التاريخ يعتبر مصدراً من المصادر المؤهلة لنقل المعلومات السابقة، اهتم العديد من الروائيين الجزائريين به وبمكوناته، ولاسيما الروائي واسيني الأعرج في رواياته مثل "البيت الأندلسي" و"كتاب الأمير" وأخرى من رواياته التي تعتمد التاريخ، والروائي مرزاق بقطاش في بعض رواياته مثل "طيور في الظهيرة" و"البزاة"، إضافة إلى الروائي الطاهر وطار في العديد من رواياته، وغيرهم من الروائيين الجزائريين الذين اعتمدوا على تأسيس خطاب روائي تجريبي له مرجعيات متعددة، والتي لا يخفى على القارئ الواعي أهميتها في السرد.

وقد انتقينا في هذه الدراسة التي تناقش إشكالية وجود التاريخ وتداخله مع الخيال الروائي في رواية جزائرية تجريبية بعنوان "رواية أربعون عامًا بحثًا عن إيزابيل" للروائي الجزائري سعيد خطيبي، وهذا لما تتميز به من معرفة تاريخية وثقافية تعيننا على تحقيق الأهداف المرجوة التي نسعى جاهدين لتسليط الضوء عليه من خلال هذه الإشكالية:

إلى أي حد من حدود السرد اقتدرت رواية "أربعون عامًا بحثًا عن إيزابيل" أن تجسد التاريخ بشكل جمالي؟ وهل وظف الروائي التاريخ كما يتبغي ان يكون، وهل أدرج عناصر خيالية مميزة فيه؟ وما المعاني المتجاوبة وراء توظيف التاريخ في عنوان الرواية وشخصياتها وأزمعتها وأحداثها؟

2- مقارنة نظرية :

1- 2- التاريخ مع المتخيل الروائي - التداخل واللاتشابه - :

يُعد التاريخ شكل من أشكال المعرفة، يقوم على تقديم العلاقة بين تجارب الأشخاص في الأزمنة الماضية والمؤرخين في الوقت الراهن. يتأكد أن التاريخ لا يكون له وجود دون الإنسان، إذ يحتفظ بتجارب الأشخاص الذين عاشوا في حقب زمنية محددة في الماضي. ويمكن وصفه بأنه الماضي الذي يسعى المؤرخون للبحث عنه وتوثيقه¹.

أما الرواية، فيمكن أن نسميها قصة خيالية تكثر في جوهرها العمق التاريخي². ومن هنا يصبح الاهتمام المشترك بين التاريخ والرواية واضحًا. يركز العديد من النقاد على هذا التداخل، مثل النقاد الذين يرى علال سنقوقة أن التاريخ والخيال الروائي يتقاطعان بشكل واضح.

تتجلى هذه الاشتراكية بين التاريخ والرواية في توظيف الروائيين للأحداث التاريخية كموضوعات أو تيمة للإبداعاتهم الروائية. حيث يمكن للروائي أن يستند إلى مجريات تاريخية حقيقية ويعيد كتابتها بأسلوبه الخاص ويضيف عناصر الخيال السردى لتجسيد قصته.

قد يستخدم الروائي العناصر التاريخية كما هي في واقعها أو قد يقوم بإدخال عناصر تخيلية فيها لإضفاء طابع مأمول على روايته، حيث يكمن الجمال الفني في قدرة الكاتب على تجسيد التاريخ بصورة يصعب التفريق فيها بين الحقيقة والخيال.

لذلك، يتوقع استخدام التاريخ في عناوين الروايات وشخصياتها وأحداثها، وأن يكون له دلالات متعددة ومتراطة، تجعل الكاتب يستخدم التاريخ كوسيلة للإبانة عن الهوية والثقافة والتراث، ويسلط ضوءه على قضايا الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية التاريخية وغيرها من القضايا المتداخلة.

يستطيع الروائي أن يوظف التاريخ بشكل فني إبداعي من خلال مزج الخيال والحقيقة في آن واحد ويعطي للأحداث التاريخية صورة وُعدًا جديدًا ونفسًا جديدة يستمد منها القارئ فهمًا عميقًا للتاريخ والأحداث التي شكلت مسار الحياة البشرية.

تشير بعض الدراسات الغربية الحديثة إلى أن أصل الرواية يعود إلى الحكاية، فهما يتشابهان من حيث الاشتقاق اللغوي في اللغتين الفرنسية والإنجليزية، حيث نجد في الإنجليزية كلمة "history" وفي الفرنسية نجد كلمة "histoire"³، ومن خلال هذا التصور اللساني، يمكننا أن نرى التقارب بين الرواية والتاريخ، فكلاهما يتشابهان في الأسلوب والشكل، فعلى الرغم من اجتماعهما في الجوانب الفردية والجماعية، إلا أن الاختلاف الرئيسي بينهما يكمن في أن الرواية هي حادثة خيالية في حين يتعلق التاريخ بالوقائع المادية الحقيقية، وعلى الرغم من أن الرواية قد تبدو مشابهة للواقع، إلا أنها تخرج عنه وتتأثر بالجانب الخيالي⁴.

ومن جهة أخرى، يميز الناقد سما روجي الفيصلي بين استخدام الرواية للتاريخ واستخدام التاريخ في إبطاره الشامل، حيث يقول إن "التاريخي في الرواية يأخذ بدلالاته العامة ورؤيته وقيمه، بينما التاريخ يأخذ بحقيقته الموضوعية وزمنه. التاريخي في الرواية يكون احتمالياً فنياً، بينما التاريخي خارج الرواية يكون حقيقياً وموضوعياً. وبالتالي، لا تنوب الرواية عن التاريخ ولا ينوب التاريخ عن الرواية، لأنهما مجالان مختلفان في الجمال والمعرفة. وبالفعل، التاريخ لا يستقل عن الرواية، لأنها نص في يعبر عن رؤية ولا يقتصر على نقل المعرفة"⁵.

بناءً على هذا التصور، يتضح لنا أن كل من التاريخ والرواية يتميزان بخصائص مميزة، والنتيجة هي أن التاريخ يقدم لنا أحداثاً انتهت ورسمت أحداثها في سجل الزمن، في المقابل تقوم الرواية بإحياء تلك الأحداث لتظهر امتداد الماضي في الحاضر أو لتفسير الواقع الحالي استناداً إلى الماضي.

2-2- الرواية التجريبية والتاريخ :

منذ القدم، اعتمدت الرواية على التاريخ واستخدمته كمصدر لا ينضب، وقد استمدت الرواية أحداثها ورموزها وشخصياتها وأماكنها من الماضي بأساليب متنوعة لا يمكن حصرها في اطار معين ، ولكنها لم تخرج عن طبيعتها واطارها العام كفن أدبي ينتمي الى الخيال ، وبالتالي يمكن أن ندرج الرواية التاريخية ضمن الأعمال السردية التي تهدف إلى إعادة بناء فترة زمنية من الماضي بطريقة خيالية، حيث تتداخل فيها شخصيات تاريخية مع شخصيات خيالية، وفي الرواية التاريخية، نجد وجود المادة التاريخية، ولكنها تُقدم بطريقة إبداعية وخيالية.⁶

انه عند مقارنتنا بين الرواية التاريخية الكلاسيكية والرواية التجريبية الحديثة في تعاملهما مع المادة التاريخية، نجد اختلافًا واضحًا يمكن أن نفسره بطريقة استخدام التاريخ في الرواية، حيث في الرواية التاريخية الكلاسيكية، يسيطر الخطاب التاريخي على الرواية ويحكمها بطابعه، مما يجعل الشخصيات سطحية ومشروطة بأحد الأدوار المحددة، بالإضافة إلى الطابع الفردي الذي يميز السرد والرؤية في الرواية التاريخية. بالمقابل، تتبع الرواية المعاصرة نهجًا مختلفًا حيث تسيطر على الخطاب التاريخي وتقدمه بطريقة جديدة تتوافق مع طبيعة السرد الروائي.⁷

بناءً على هذا المفهوم تتبع الرواية التجريبية المعاصرة أساليب فنية مخصصة في التعامل مع المادة التاريخية، فهي لا تأخذ المادة التاريخية بشكلها الموضوعي المؤلف، بل نجد تغييرات يحكمها رؤية الروائي وطبيعة العصر الذي يعيش فيه، والهدف من استخدام تلك الحقائق التاريخية في عصر مليء بالتغيرات المتنوعة في مختلف مجالات الحياة هو إيجاد توازن بين الماضي والحاضر والتعبير عن التحولات التي يشهدها العالم الحديث.

3-رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل بين التاريخي والتمثيل :

نشير في هذا البحث إلى أننا سنبحث عن تمظهر التاريخ على مستوى العنوان و عناصر البنية السردية من شخصيات و زمن و أحداث ، التي سنتكىء عليها بغية معرفة استراتيجية الكاتب في بنائه لتمثيله التاريخي .

1.3- العنوان وحضور التاريخ :

يعد العنوان العتبة الأولى في النص الأدبي حيث يفتح بابه المغلق ويضيئ فضاءه للمفسر والقارئ على وجه الخصوص ، فهو يشكل "شبكة دلالية" تفتح بها البوابة الأولى للنص وتؤسس نقطة الانطلاق الطبيعية فيه، كما يهدف العنوان إلى جذب انتباه القارئ وأن يكون تسمية مرافقة للعمل الأدبي، مُشيرًا إليه. ولقد أعطى النقاد، وخاصة النقاد المحدثين، اهتمامًا كبيرًا لعتبة العنوان، ومنحوه الأولوية حيث ناقشوا مفهومه ووظائفه ومجال البحث فيه، ومن بين هؤلاء النقاد الفرنسي جيرار جينيت الذي كتب كتابًا بعنوان "عتبات"، حيث استعرض فيه العديد من الأمور المتعلقة بالعنوان والتي تشمل الجوانب الشعرية والأدبية.⁸ في رجوعنا إلى عنوان الرواية المختارة، نلاحظ أنه يعرض أمامنا مؤشرا زمنيًا ممثلًا في عبارة "أربعون عامًا"، وعنصرًا حديثًا هو "الانتظار"، وعنصرًا فاعلاً أو عاملاً يُمثله شخصية إيزابيل التاريخية.

بناء على تلك المكونات التي ذكرناها، يمكننا القول إن العنوان يشير مسبقًا إلى أن الرواية ستكون سيرة تاريخية عن شخصية إيزابيل إيبرهات، الكاتبة والأديبة السويسرية، ومع ذلك إذا بحثنا عن الدلالة الفعلية للعنوان في أغوار النص سنفاجأ

بأن الحقائق التاريخية المتوقع أن تقدمها الرواية - كمشروع سردي يحقق ما يتوقعه العنوان ويعلنه - غير كافية لمشروع تاريخي روائي أسسه العنوان، وبالإضافة إلى ذلك، يمكننا أن نلاحظ أن العنوان يحمل أبعادًا إضافية تتعدى المجرّد التاريخي، فعندما نتأمل عنوان الرواية "أربعون عامًا في انتظار إيزابيل"، يُقدم لنا مفهوم الزمن والانتظار كعناصر ضرورية في القصة، ويتم استخدام المدة الزمنية "أربعون عامًا" لإلقاء الضوء على مدة طويلة من الانتظار والترقب المتعلقة بشخصية إيزابيل. ويمكن أن يكون العنوان يلمح إلى الانتظار والأمل والتحمل في المواقف التي تتطلب صبرًا طويلًا، وهو ما يجعل العنوان يهئ الجو السردى والمشوق للرواية، حيث يشير إلى أنه قد يحدث تطور بارز بعد فترة طويلة من الزمن والانتظار. وعليه، يمكننا أن نستنتج أن العنوان في هذه الرواية هو مرآة تصور لنا الأبعاد التاريخية والزمنية، ويهدف كذلك إلى الوصول إلى أن التشويق للقصة لا يتحقق إلا بمثل هذه الطريقة المقصودة وهو ما يثير فضول القارئ ويدفعه لاستكشاف العلاقة بين الأحداث التاريخية والعناصر المتخيلة في النص.

الظاهر أن الرواية تركز بشكل كبير على حياة جوزيف كرسام وكاتب فرنسي في الجزائر وتجربته هناك على مدى أربعين سنة، وعلى الرغم من أن إيزابيل تظهر في الرواية كشخصية رئيسية، إلا أنها تُعامل وتقدم على شكل ملاحظات عارضة وتظهر من خلال تصورات وخيال جوزيف.

يمكن أن يُفهم من هذا التوجه أن الرواية تهدف إلى استكشاف تأثير إيزابيل على حياة جوزيف وتصويره لها على مدى الأربعين سنة التي عاشها في الجزائر، ويتم تسليط الضوء على التقلبات السياسية والاجتماعية التي شهدتها البلاد خلال تلك الفترة، والتي عاشها جوزيف واستمر في البحث عن مخطوطاتها ومؤلفاتها.

يُمكن أن يُفهم العنوان كاختزال للتجربة الحياتية الطويلة والمعقدة التي عاشها جوزيف في الجزائر، بما في ذلك تأثير إيزابيل على حياته، ويبدو أن الرواية تعتمد إلى تقديم رؤية شخصية لجوزيف ومشاعره وتصوراتهِ حول إيزابيل، بدلاً من تقديم سيرة تاريخية مفصلة لشخصيتها، فهذا التركيز على حياة جوزيف وتصوره لإيزابيل يضيفي على الرواية بُعدًا وفنيًا خلصًا، مما يسمح للقارئ بالوصول إلى العمق لعوالم الشخصيتين وتفاعلاتهما على مدار الزمن.

2.3- دلالة الشخصيات :

تعد الشخصيات دلالة حاسمة في العمل الروائي، حيث تعتبر المحرك الرئيسي لأحداث القصة بدونها، يفقد العمل الروائي قيمته وجاذبيته، تمامًا كما يحدث مع باقي المكونات مثل الزمان والمكان والأحداث.

وإذا كان من المعروف أن التاريخ يعتبر مصدرًا يستخدمه الروائيون في بناء عوالمهم السردية، فإن الشخصيات التاريخية تعتبر أحد العناصر الأساسية التي يستدعونها من تلك الحقبة التاريخية إلى العالم السردى المتخيل بأساليب متنوعة، والتي يمكن ذكر بعضها كما يلي:

1- استدعاء الشخصية بالاسم من خلال ذكرها في السياق الروائي.

2- استدعاء الشخصية بالاقتراسات التاريخية: حيث يقوم الروائيون كثيرًا ما بسرد أقوال الشخصيات، وخاصة الأقوال الشهيرة التي يعرفها القراء.

3- استدعاء الشخصية بالأفعال: أي الإشارة إلى شخصية معينة من خلال الأعمال التي اشتهرت بها⁹.

إذا كان الأمر بهذا الشكل ، فكيف استدعى سعيد الخطيبي شخصياته التاريخية؟ وهل وظيفها كما كانت عليه في واقعها، أم أعطاها أبعاداً أخرى وفقاً للأحداث الروائية داخل السرد؟ هذه أسئلة عديدة سنحاول الإجابة عنها في هذا السياق، استناداً إلى عرضنا لأهم الشخصيات التاريخية التي استخدمها الكاتب في الرواية. سنحاول تسليط الضوء على مدى قدرة الكاتب على رسم تلك الشخصيات وإعطائها صفاتها الفريدة ضمن سياق الأحداث الروائية.

1.2.3- إيزابيل :

إيزابيل، الرحالة والكاتبة الصحفية، هي شخصية تاريخية معروفة. وُلدت في جنيف، سويسرا، في 17 فبراير 1877. قررت أن تعيش في الجزائر، وتحديداً في مدينة عين الصفراء، جنوب غرب البلاد. عاشت في الجزائر خلال العهد الاستعماري، واستخدمت قلمها وحياتها القصيرة للكتابة والدفاع عن حقوق الأهالي وحياتهم.

لقد ناضلت إيزابيل إيبرهارت من خلال كتاباتها لصالح الجزائر والجزائريين، وكشفت في مقالاتها ونصوصها الأدبية عن الممارسات الاستعمارية، واستمرت في هذا المسار حتى وفاتها في ربيع شبابهما عندما جرفها وادي عين الصفراء في الجزائر¹⁰.

تناول سيرة إيزابيل عدد من المؤرخين، حيث اعتبرها البعض عميلة لفرنسا، في حين نفى البعض الآخر ذلك، أما بالنسبة لسعيد الخطيبي، فهو يسعى في روايته المختارة لاستحضار سيرة إيزابيل بشكل فني، بهدف إلى تقديم حقائق عنها تكون ثمينة لكشف جوانب يمكن أن تنير القارئ الذي يدخل عوالم الرواية، فهل نجح الكاتب في تصوير حياة تلك الشخصية وإقناعنا بوجهة نظره؟ هذا ما سنكتشفه عندما نقرأ الرواية بمنهجنا المتبع وما سنظهره من سيرة إيزابيل فيه .

إن استعراض المتن يمكن للقارئ أن يتبين أن إيزابيل هي شخصية واقعية تم إدخالها في الرواية من خلال راوي القصة، وجوزيف. يكلف الراوي بمهمة سرد الأحداث ليحلب لنا تصوراتهِ وتخيالاتهِ عن حياة إيزابيل، وبناءً على ذلك، يرسم لنا صورة عن حياتها في الجزائر وكيفية تأقلمها في الصحراء الجزائرية.

تقدم الرواية المختارة مقاطع نصية تعطينا نبذة عن حياة إيزابيل، ومنها:

« هي لم تكن صبورة كانت تحب سريعاً وتهجر سريعاً تؤمن بالشيء سريعاً ثم تكفر به سريعاً لم تخلصها رحلاتها الطويلة في الجنوب الصامت والتوحد .¹¹ حيث أن هذا المقطع يصف طبيعة إيزابيل وسلوكها في الحياة. يُذكر أنها لم تكن صبورة بل كانت تتحمس وتتعلق بأمور بسرعة، وفي نفس الوقت تتخلى عنها بسرعة أيضاً، لقد كانت تؤمن بشيء ما بسرعة، ثم تُنكره وتتوب عنه بسرعة، وقد يُشير النص أيضاً إلى أن رحلاتها الطويلة في الجنوب الصامت والتوحد لم تنقذها من هذا النمط السريع والتقلب في اهتماماتها ومعتقداتها.

« إيزابيل كانت صورة مؤنثة مني نصرانية متأسلمة قلقة وملعونة لا هي أوروبية ولا هي عربية.¹²»

يصف هذا المقطع إيزابيل بأنها صورة مؤنثة منصوبة نصرانية متأسلمة قلقة وملعونة. يُشير النص إلى أنها ليست أوروبية ولا عربية. يتم استخدام المفردات لوصف تعقيد هويتها، حيث ترتبط بمعتقدات نصرانية ولكنها تظهر أيضاً بصفات متأسلمة وقلقة وملعونة، ويتم التأكيد على أن هويتها لا تندرج تحت تصنيف أوروبي أو عربي، مما يوحي بتعددية وتعقيد هويتها.

« أتخيل إيزابيل وهي تجلس القرفصاء قبالي ترتدي برنوسا أبيض من وبر الماعز ، وتعتمر بيرية باسكية سوداء اللون ، مثل البيرية التي اعتمرتها في فرنسا لسنوات . ثم غيرتها بشاش في الجزائر تحمل سبحة بحبات بنية في يدها اليسرى وسيجارة لوريون بيدها اليمنى . تحرك شفيتها الناعمتين اللتين ورثتهما عنها الممثلة الايطالية كلوديا كاردينال ...»¹³

المقطع يصف تخيلات الراوي لإيزابيل وهي جالسة أمامه، ويصف الراوي كيف يتخيل إيزابيل وهي تجلس في وضعية القرفصاء، مرتدية برنوسا أبيض مصنوع من فرو الماعز، كما يصفها أنها ترتدي بيرية باسكية سوداء، تشبه تلك التي كانت ترتديها في فترة إقامتها في فرنسا لعدة سنوات. يوضح النص أنها غيرت بيريتها إلى شاش في الجزائر، وفي يدها اليسرى تحمل سبحة مكونة من حبات بنية، وفي يدها اليمنى تحمل سيجارة لوريون. يتحدث الراوي أيضاً عن شفيتها الناعمتين التي ورثتها عن الممثلة الإيطالية كلوديا كاردينال، مما يعطي صورة لجمال إيزابيل وتأثير الممثلة الإيطالية عليها.

قد توفر المقاطع السردية السابقة لمحة عن حياة إيزابيل اليومية في الصحراء الجزائرية، فيها يركز الراوي أثناء وصفه على الجوانب النفسية والجسدية لإيزابيل، مما يقدم لنا معلومات عن حركيتها ، ويُشير النص إلى أنها كانت مسيحية وأعتنقت الإسلام وأنها ليست صبورة كما تدعي، لأنها عاشت في الصحراء الجزائرية لفترة ما، واستوعبت عادات وتقاليد تلك البيئة، مثل اللباس التقليدي. ومع ذلك، لم تنسى عاداتها الأوروبية، مثل التعامل مع الجنس الآخر وتدخين السجائر.

يتصرف الكاتب فنياً عبر الشخصية السردية جوزيف ليصور حياة الكاتبة إيزابيل من خلال تخيلاته وخياله. وفي كثير من الأحيان، يتعد الكاتب عن الحقائق التاريخية التي قد يعتقد القارئ أنه سيجدها في النص، مثل حياة الكاتبة ونشأتها وقدمها إلى الجزائر ومعاناتها هناك، وعلى الرغم من ذلك تقدم بعض المشاهد لمحة عن سلوكياتها واهتماماتها، مثل حبها للباس العربي التقليدي وركوب الخيل وميلها للحياة الروحية ومواجهتها للاستعمار وغيرها من الأحداث ذات الصلة بها.

يخيب الروائي في مشروعه الروائي عندما يفتح المجال لعدد كبير من الشخصيات المتخيلة أو الواقعية التي تتمتع بخلفيات ثقافية وفكرية وتاريخية متنوعة، وهذا يخيب آمال القارئ الذي يبحث عن إجابات وافية بشأن حياة شخصية تاريخية ومثيرة للجدل والتي تم تناقلها بأراء متنوعة.

2.2.3- جوزيف :

هو الشخصية الرئيسية في الرواية وأيضاً الراوي لأحداثها ، إنه فنان فرنسي وكاتب يعمل في مجال الرسم، وقد قرر الهجرة إلى الجزائر في بداية الخمسينيات من القرن الماضي، عاش هناك مع صديقه سليمان لمدة أربعين عاماً، وشهد العديد من المحطات والتجارب في مدينة يعتبرها معادية له في أحيان كثيرة، كما يصفها في الرواية.

تأثر جوزيف بحياة المؤلفة والمسافرة إيزابيل إبيرهارت، وبدأ يستلهم حياتها ويصورها في أعماله، وقد اكتشف مؤخراً مخطوطة نادرة تحكي قصة حياتها المأساوية، مما دفعه إلى تحويلها إلى لوحات فنية، فهذا الاكتشاف أعاد إليه رغبته في الحياة بوصفه فنان بعد أن كاد أن يفقد الأمل تماماً في المدينة التي جعلته يشعر بالغرابة والتباعد عنها، واستمر جوزيف يعيش في الجزائر حتى بلغ صبره نهايته ، وقرر العودة في أحداث الرواية، قابل البطل جوزيف شخصاً يُدعى سعيد الخطيبي الذي قضى أربعين عاماً يبحث عن مخطوطة إيزابيل. هذه المخطوطة كانت هدفاً رئيساً لجوزيف لفترة طويلة.

الرواية تتميز بتنوع الشخصيات، فبعضها تاريخية مثل إيزابيل والكاتب والرسام إيتيان ديني الذي عاش في بوسعادة واعتنق الإسلام وتحول اسمه إلى نصر الدين دينيه، وهناك أيضاً شخصيات أخرى تم استدعاؤها في الرواية بالإشارة إلى أسمائهم فقط لأغراض مختلفة ذات طابع معين، وتحتوي الرواية على شخصيات متخيلة غنية ومتنوعة، حيث يتلاقى التاريخي والخيال في صناعة هذه الشخصيات، وهذا ما يكشف لنا الواقع الحياتي المظلم في وطن تعاني لا يزال من تداعيات الماضي حتى اليوم.

4. - دلالة الزمن :

تصور دلالة الزمن في السرد الروائي عدة جوانب وتأثيرات على المستوى الفني ، ومن هذا منظور نجد أن تميز السرد التاريخي بالتركيز على الزمن الماضي عن السرد في مستويات أخرى ، حيث يصف هذا السرد الأحداث التي وقعت في الماضي ومع ذلك، يبقى الزمن في روايته مفتوح على الحاضر.

وبمفهوم آخر ، يتم تطبيق مفهوم استمرارية الماضي في الرواية، حيث يقوم الكاتب بربط الأحداث الماضية بالحاضر، ويحدث ذلك من خلال إنشاء علاقة جدلية بين الزمنين، حيث يتم تأثير الماضي على الحاضر وتأثير الحاضر على فهمنا للماضي، هذه الزمنية المتقاطعة تعطي الرواية طابعها الفني المتجدد ابداعياً لأن تأثيرات التاريخ والزمن على الشخصيات والأحداث يكسبها الاستمرارية والحيوية التي لا تتحقق مالم يجتمع العنصران، فقد تعطي الروائي فرصة لاكتشاف العلاقات الدقيقة بين الزمنين وتأثيرها على تطور القصة وتطور الشخصيات.

بهذه الطريقة السردية الحديثة ، يستخدم الروائي الزمن كأداة لإثراء الرواية وجعلها أكثر تعقيداً وتأثيراً، حيث يتم توفير فهم أدق للأحداث وتطور الشخصيات عبر الزمن.¹⁴

إن في هذه المختارة تتجلى فكرة استمرارية الماضي في الحاضر وتأثيرها على الشخصيات والأحداث، وهي واحدة من الجوانب البارزة في تميز هذه الرواية وهي رؤية جوزيف لحياة الأدبية ومواقفها المختلفة، والتي يروي بعضها، معتقداً أن حياة الأدبية تشبه حياته بطريقة ما.

من خلال هذه الرؤية، يتم توظيف الزمن المتقاطع لإبراز التشابه والارتباط بين حياة الأدبية وحياة جوزيف، ويمكن أن يكون هذا التشابه في الخبرات أو المشاعر أو الصراعات التي يواجهها الشخصان، فقد يعتبر جوزيف أن الأدبية تعكس جوانب من حياته وتعزز معنى تجربته الشخصية.

ويبقى هذا الاستخدام المتقاطع للزمن من أبرز الأليات التي تزيد العمق والتعقيد في الرواية، حيث يتم دمج قصة جوزيف مع قصة الأدبية لتشكيل رؤية متكاملة عن الحياة والتجارب الإنسانية، وبالتالي يتم استدعاء الماضي ومعطياته لإلقاء الضوء على الحاضر لتعميق فهمنا للشخصيات والأحداث في الرواية: « ربما عشت بما فيه الكفاية . لكنني لم افهم حياتي بما فيه الكفاية. هناك حلقات ضاعت مني ولن اجد احدا ليساعدني على إدراك المهمات .وقد تكون ايزابيل ايضا عرفت شعورا مثل ذلك الذي تملكني .فهي عاشت رحالة ومحبة للحياة دون ان تستوعبها . »¹⁵

بناءً على المقطع والمعلومات المتاحة في الرواية، نستطيع القول إن الكاتب يقوم بتجسيد تجارب ومعاناة إيزابيل في الماضي، ويعيدها إلى الحاضر من خلال شخصية جوزيف، حيث يتشابه مصير كل منهما، وهذا عندما نجد أن كلاهما يعاني من الغربة

عن وطنهما ويتعرضان لاتهامات بالعمالة لصالح السلطات الفرنسية، وينتهي مصير كلاهما بشكل مأساوي، حيث تموت إيزابيل حقيقة في نهر عين الصفراء، في حين يعاني جوزيف من موت نفسي ويقرر العودة إلى وطنه بعد أربعين عامًا قضاها في بلد لم يحتضنه أهله ولم يقدر حبه لأرضه ورغبته في إعطاء أبنائه حياة آمنة.

هذا التوازي والتشابه بين حياة إيزابيل وجوزيف يصور قصة الرواية ويظهر تأثير الماضي على الحاضر وتجاوز التجارب الشخصية للأفراد، يستخدم الكاتب هذا التوازي كرمز للعواطف والصراعات الإنسانية المشتركة ولإلقاء الضوء على قضايا الهوية والانتماء والتعاطف في سياق الظروف التاريخية الصعبة..

يتبع الكاتب منطق السرد الروائي الحديث بدلاً من التسلسل الزمني التقليدي للأحداث في السرد التاريخي، يتحكم الكاتب في توقيت وترتيب الأحداث وفقاً لاعتبارات فنية وتأثيرية لخلق تأثيرات معينة وتشويق القارئ.

يلاحظ أن الراوي جوزيف يروي حياته في الجزائر على مدار أربعين سنة، ومع ذلك يختار أن يقدم الأحداث بطريقة غير متسلسلة زمنياً لالتسلسل وفق السرد الكلاسيكي، حيث يقدم الأحداث بتأخير وتقدم وفقاً لاختياراته الفنية والتعبيرية التي تتحكم في الأحداث، فمثلاً لا حصراً تبدأ الرواية بلحظة نهايتها حيث يستعد جوزيف للرحيل من الجزائر في بداية العشرة السوداء. ثم يعود إلى الأحداث السابقة ويرويها بترتيبه الخاص، حيث يمزج بين الماضي والحاضر ويتنقل بين الأحداث المختلفة، إن هذا الاختلاف عن التسلسل الزمني التقليدي الذي عرفته القصة والحكاية سابقاً يسمح للكاتب بإبراز الروح الروائية والفنية للرواية، فأصبح يعطي للكاتب الروائي أن يستخدم هذا الترتيب غير المعتاد للأحداث لتسليط الضوء على تفاصيل معينة، ولتوليد التشويق والتوتر، ولخلق تأثيرات درامية وفلسفية على القارئ.¹⁶

في هذه الرواية التي نتخذها مدونة لنا يشرح جوزيف في سرد حكايته في الجزائر وما حدث له خلال أربعين سنة. يروي تجربته كمرتحل مع صديقه سليمان وسعهما للبحث عن مخطوطات إيزابيل وحياتها، يستخدم الكاتب تقنية روائية حيث يخلط بين الأحداث والشخصيات ويتنقل بينها بطريقة غير تسلسلية، فيقوم جوزيف بسرد جانب من حياة إيزابيل، ثم يتداخل مع قصة مضممة تتعلق بشخصية التقاها في الجزائر أو يروي ما حدث له مع صديقه سليمان، ثم يعود مرة أخرى ويتابع حديثه عن إيزابيل، وهكذا يتكرر هذا النمط طوال الرواية.

في هذا النوع من الأساليب الروائية الذي يعبث بالتسلسل الزمني للأحداث يعطي للرواية بنية غير تقليدية ويخلق توترًا وإثارة لدى القارئ مهما كان نوعه، حيث يقوم الكاتب بتوظيف مختلف الجوانب والتفاصيل التي تحتوي كل أساليب حياة جوزيف وإيزابيل والأحداث التاريخية التي عاشها في الجزائر، ولكنها ليست مرتبة بشكل تاريخي منظم و متسلسل، ان هذا التشضي الزمني في السرد يؤدي الى تحويل الأحداث من الرتبة والملل الى التشويق الحماس فالفوضى التي يعيشها جوزيف والتحويلات السياسية والاجتماعية التي شهدتها الجزائر خلال الفترة المذكورة، ويعطي هذا الأسلوب الروائي المخصوص حرية واضحة للكاتب من أجل اظهار مواضيع متعددة وربطها بشكل سلس وغير مباشر مبرزا الروح الروائية للقصة.

5.- على مستوى الأحداث (توظيف أحداث التاريخ) :

يوظف الكاتب في الرواية المذكورة أحداثاً تاريخية مختلفة لتكوين جزءاً من قصة جوزيف وتأثيرها على حياته، ويروي الكاتب لقطات من الأحداث السياسية والاجتماعية التي جرت في الجزائر منذ وصول جوزيف في عام 1951 وحتى بداية العشرية السوداء في التسعينيات.

من بين هذه الأحداث، التي نقرؤها يركز الكاتب على صراع الإسلاميين والأحزاب الأخرى، ويصف لحظات توتر وصراع الأجنحة والأطراف المختلفة، ويقدم الكاتب لقطة محددة من هذا الصراع على لسان شخصية جوزيف، حيث يشهد ويصف تجمعا لشباب الحزب وهم يهتفون بصوت عالٍ ومفزع، ويرددون عبارات مثل "الله أكبر" ويحركون رؤوسهم بطريقة مثيرة وكأنهم يرقصون رقصة صوفية، ومع مرور الوقت يلاحظ جوزيف تلاشي صوتهم تدريجياً.

يبقى توظيف الأحداث التاريخية في الرواية جوهر الخلفية التاريخية للقصة حيث يصور تأثير الأحداث الكبيرة على حياة الشخصيات والفضاء العام للرواية، كما يساهم هذا التوظيف في تحقيق فهم القارئ للسياق التاريخي والاجتماعي الذي تندرج فيه أحداث الرواية وتطور الشخصيات¹⁷.

لقد وردت أحداث تاريخية عديدة في الرواية قدمت بطريقة متخيلة، ولعل أهم مقطع لخص لنا تلك الأحداث التي شهتها الجزائر وعاشها جوزيف المقطع التالي: « يبدو أنني عشت ما فيه الكفاية شهدت الجرب العالمية الثانية، صلفحت الجنرال ديغول ونظرت في عينيه وتبادلت كلمات قليلة معه، عرفت حرب الجزائر، مظاهرات ماي 1968م، تابعت حرب اسرائيل عام 1967م، رد العرب عام 1973، خطابات هواري بومدين الصاخبة، غضب اكتوبر 1988، حرب الخليج الأولى ثم حرب الخليج الثانية سقوط جدار برلين...»¹⁸

المقطع المذكور يلخص توظيف الكاتب للأحداث التاريخية في الرواية ودورها في كشف الصراعات المحتدمة في العالم العربي وتوضيح خلفياتها، حيث يستند الكاتب إلى فترات تاريخية جوهرية مثل أحداث أكتوبر التي تعتبر قطب الرحي في هذا لسياق، ولكنه لم يتطرق إلى جميع هذه الفترات بالتفصيل، يهدف الكاتب إلى تعرية الواقع العربي وكشف الصراعات التي تؤثر في العالم العربي حتى يومنا الحاضر.

ان توظيف الأحداث التاريخية الواقعية في مثل هذه الرواية يساعد الكاتب على جعل الشخصيات الخيالية تعيش هذه الأحداث كأنها حقيقية، وليست خيالية، و يتحقق بذلك التوازن بين العناصر التاريخية والعناصر الروائية المتخيلة في الوقت نفسه، فالكاتب لم يقتصر على تقديم الأحداث التاريخية كما هي في واقعها المتسلسل، بل أضاف لمسات فنية ابتكارية لتفسير الماضي بطريقة فنية ذات عمق بعيد وملهمة تخرج عن المؤلف، ومنه يعطي تلك الأحداث دلالاتها وجميع ابعادها التي يكرسها فن السرد و التي يجب على القارئ البارع أن يبحث عنها ويفهمها وفقاً لما يقصده الكاتب.

خاتمة

بناءً على ما تم ذكره في هذه المقاربة، يمكننا التوصل إلى النتائج التالية بشأن تجليات التاريخ وتداخله مع العنصر الروائي في رواية "أربعين عاماً في انتظار إيزابيل":

1. يعتبر التاريخ من أهم المصادر التي يلجأ إليها الكاتب في بناء قصصهم الروائية، وقد لاحظنا أن الرواية المعاصرة التجريبية تتعامل مع التاريخ بطريقة مختلفة وواعية، حيث يحاول الروائيون تفسير الواقع من خلال كتاباتهم السردية والفنية.
2. يكشف عنوان الرواية عن انقلاب معنوي بين المتن والعنوان، ففي حين يوحي العنوان بوجود سرد مفصل عن حياة شخصية تاريخية، ينفي المتن هذا الأمر ويقدم أحداث قصة تتناول مفاهيم مختلفة.
3. يوظف الكاتب في المتن بعض الشخصيات التاريخية التي يعاملها بشكل فني، مثل شخصية إيزابيل، كما يستخدم أسماء بعض الشخصيات الأخرى لأغراض فنية وأيديولوجية يسعى لتحقيقها.
4. من خلال دراسة التوقيت الزمني للرواية وعلاقتها بالتاريخ، نلاحظ أن الكاتب يتعامل بأسلوب فني مع الأحداث التاريخية، فهو يتجاوز السرد الزمني المعتاد في الروايات التاريخية، ويقدم الأحداث بطرق غير تسلسلية، مما يخلق تبايناً زمنياً ملحوظاً على مدار السرد من خلال التلاعب بالاسترجاع والتنبؤ والتلخيص والوصف وما إلى ذلك.
5. يستند الكاتب إلى العديد من الأحداث التاريخية التي يستخدمها بشكل فني في الرواية، ويهدف تسليط الضوء على تناقضات الحاضر وأهمية أن يدرك الشعب الجزائري أن لحاضره خلفيات سابقة، ويكشف الكاتب أن قصة إيزابيل، التي يوحي العنوان بأنها الشخصية الرئيسية في المتن، تعتبر مجرد لعبة سردية ذكية يعبر من خلالها عن عالمه الروائي.

الهوامش :

(*) سعيد الخطيب روائي جزائري معاصر ، من مؤلفاته الروائية كتاب الخطايا ورواية أربعون عاماً بحثاً عن إيزابيل التي صدرت 2016م ، وهي رواية نال بها جائزة كتارا للرواية العربية 2017م ، كما صدر له كتب تاريخية ، من أهمها جنائز الشرق الملتبحة .

- 1 - بول ريكور، الزمان والسرد. الشبكة والسرد التاريخي ، تر: سعيد الغانمي وفلاح رحيم، ج1، ط1 ، دارالكتاب الجديد ، (د-ت) ، ص : 158، 159
- 2 - محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2002 م ، ص: 103
- 3 - علال سنقوقة ، المتخيل والسلطة - في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص : 53-54
- 4 - المرجع نفسه ، 54.
- 5 سما روجي الفيصل ، الرواية العربية - البناء والرؤيا ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2003م ، ، ص: 63-
- 6 - سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الجديدة ، الوجود والحدود ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2012م ، ص: 159
- 7 - محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص : 104
- 8 - شعيب حليفي ، هوية العلامات - في العتبات وبناء التأويل ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط1، 2005م ، ص 11
- 9 - محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص: 114
- 10 - ينظر، جريدة النصر، الثلاثاء-1-سبتمبر 2016 م

-
- 11 - سعيد الخطيبي، أربعون عاما بحثا عن إيزابيل ، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2016، ص: 26
- 12 - المرجع نفسه ص27
- المرجع نفسه ص131 -
- 14 -- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، ص: 108
- 15 -- الرواية ، ص : 25
- 16 -المرجع نفسه ص11
- 17 -المرجع نفسه ص 134
- 18 - المرجع نفسه ص30